شرح الأربعين النووية

الحديث الثالث عشر

لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى

اللقاء السادس عشر

الحديث الثالث عشر:

عَنْ أَبِيْ حَمْزَةَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري ومسلم.

ترجمة الراوي:

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار، خادم رسول الله -ﷺ-، كان يتسمَّى به ويفتخر بذلك، وقد وُلد رضي الله عنه قبل الهجرة بعشر سنوات، وكنيته أبو حمزة.

وأم أنس هي أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها، كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية، فولدت له أنس بن مالك، فلما جاء الله بالإسلام أسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها، فغضب عليها وخرج إلى الشام فهلك هناك، ثم خلف عليها بعده أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

أنس بن مالك هو أكثرُ الأنصارِ روايةً عن رسولِ اللهِ -ﷺ-، وكان مِنْ سعادتِه أَنْ خَدَمَ الرَّسولَ -ﷺ-عشرَ سنين كاملةً، أي كلَّ العهدِ المدنيّ في السِّيرةِ، ومع كونِه في العاشرةِ فقط مِنَ العمرِ يومَ بدأ خدمتَه للرَّسولِ -ﷺ- فإنَّه -لدقَّةِ فهمِه، وحدَّةِ ذكائه- استوعب سُنَّةَ الرسولِ -ﷺ- بشكلٍ مذهلٍ، حتى صار مِنْ أوثقِ ناقليها.

✉يُضاف إلى أهمِّيَّته رضي الله عنه أنَّه صَاحَبَ رسولَ اللهِ -ﷺ- في الحَضَرِ والسَّفَرِ، حتى شَهِدَ معه بدرًا وأُحُدًا، للخدمةِ لا للقتالِ، مع أنَّه كان لا يتجاوز الثَّالثة عشرة مِنَ العمرِ.

✉وكان لقربِه مِنَ الرَّسولِ -ﷺ-، يحفظ تمامًا ما يفعله، ويُقَلِّده تمامَ التَّقليدِ، ولهذا يقول أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- مِنَ ابْنِ أُمِّ سُلَيْمٍ» [الطبراني: المعجم الأوسط].

✉قَدَّم الإمامُ الذَّهَبِيُّ ترجمتَه بقولِه: «الإِمَامُ، المُقْتِي، المُقْرِئُ، المُحَدِّثُ، رَاوِيَةُ الإِسْلَامِ.. خَادِمُ رَسُوْلِ اللهِ -ﷺ-، وَقَرَابَتُهُ مِنَ النِّسَاءِ [يلتقي مع جدَّة الرَّسولِ -ﷺ- سَلْمَى بِنْتِ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةِ عندَ الجدِّ السَّابعِ عَامِرِ بْنِ غَنْمٍ]، وَتِلْمِيذُهُ، وَتَبَعُهُ، وَآخِرُ أَصْحَابِهِ مَوْتًا».

✉ولقد تربى أنس بن مالك رضي الله عنه على يد الرسول العظيم -ﷺ- تربية خاصة، فمنذ بلغ العاشرة من عمره أتت به أمه إلى الرسول -ﷺ-، ليخدمه ويتربى على يديه، فقالت له: "هذا أنس غلامٌ يخدمك"، فقَبِله.

وروى الترمذي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "خَدَمْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ،" وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلاَ مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلاَ حَرِيرًا وَلاَ شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- ، وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلاَ عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ -ﷺ-".

✉وَلَمَّا أتت به أمه إلى النبي -ﷺ- ليخدمه، أخبرته -ﷺ- أنه كاتب، وهذه الميزة العظيمة لم تكن متوفرة إلا في النفر القليل من أصحاب رسول الله -ﷺ-؛ مما يدل على فطنة أنس رضي الله عنه وذكائه منذ الصغر، فقد كان حينها لم يتجاوز العاشرة من عمره، وقد كان هذا الذكاء وهذه الفطنة من الأهمية بمكان؛ إذ حفظ رضي الله عنه وفَقِه وتعلّم من رسول الله -ﷺ-.

☜مواقف من حياة أنس بن مالك رضي الله عنه

✉قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِى نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ». قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. [رواه مسلم].

✉يعد أنس بن مالك رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله -ﷺ-؛ وذلك لأنه لازَم الرسول الكريمَ -ﷺ- عشر سنوات، مرافقًا له وخادمًا ومتعلمًا منه.

✉وقيل إنه في المرتبة الثالثة بعد ابن عمر وأبي هريرة -رضي الله عنهما- في كثرة الأحاديث التي رواها وحفظها من رسول الله -ﷺ-، ومسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين حديثًا.

✉وفاة أنس بن مالك: عن صفوان بن هبيرة، عن أبيه قال: قال لي ثابت البناني: قال لي أنس بن مالك رضي الله عنه: هذه شعرة من شعر رسول الله -ﷺ-فضعها تحت لساني. قال: فوضعتها تحت لسانه، فدُفن وهي تحت لسانه.

✉وقد عاش أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه على الأغلبِ إلى العامِ الثَّالثِ والتِّسعين مِنَ الهجرةِ (أي زاد عمرُه على مائةِ عامٍ)، حيث مات بالبصرةِ، فكان آخر الصَّحابةِ موتًا بها، وبقي أصحابُه الثِّقاتُ إلى ما بعدَ العامِ الخمسين بعدَ المائةِ، فساعد ذلك على نشرِ علمِه بشكلٍ كبيرٍ.

منزلة الحديث:

قال أبو داود السجستاني – رحمه الله –: إنه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل من أصول الأدب.

قال الفشني –رحمه الله–: إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام الموصى بها في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

قال ابن رجب: هذا الحديث الشريف مِن الأحاديث العظيمة التي عليها مدار الدِّين، ولو عمل الناسُ به لقُضي على كثير من المنكَرات والخصومات بين الناس، ولعمَّ المجتمعَ الأمنُ والخير والسلام، وهذا يحصُل عند كمال سلامة الصدر مِن الغل والغش والحسد، فإنَّ الحسد يَقتضي أن يَكره الحاسدُ أن يَفوقه أحدٌ في خير أو يُساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله ويَتفرَّد بها عنهم، والإيمانُ يَقتضي خلافَ ذلك، وهو أنْ يَشْركه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاه الله من الخير، مِن غير أن ينقص عليه من ذلك شيء.

الشرح:

في هذا الزمان الذي كثر فيه التحاسد والتباغض والذي نتج عنه الكره والتناحر... كان لزامًا علينا جميعًا أن نعوّد أنفسنا على حب الخير لإخواننا حتى تسلم قلوبنا من الحقد والضغينة وحتى نصل إلى درجة عالية من الإيمان والتسليم.

حرص الإسلام بتعاليمه وشرائعه على تنظيم علاقة الناس بربهم تبارك وتعالى، حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وفي الوقت ذاته شرع لهم ما ينظم علاقتهم بعضهم ببعض؛ حتى تسود الألفة والمحبة في المجتمع المسلم، ولا يتحقق ذلك إلا إذا حرص كل فرد من أفراده على مصلحة غيره حرصه على مصلحته الشخصية، وبذلك ينشأ المجتمع الإسلامي قويّ الروابط، متين الأساس.

ومن أجل هذا الهدف، أرشد النبي -ﷺ- أمته إلى تحقيق مبدأ التكافل والإيثار، فقال -ﷺ-: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، وخرَّجه الإمام أحمد، ولفظه: "لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتَّى يحبَّ للناس ما يُحِبُّ لنفسه من الخِير".

عبادة قلبية تعمرُ القلوبَ النقية، تقضي على المشاكل، وتنمي الألفة، وتجلب السعادة، والعبد لا يتم إيمانه بدونها، فبيّن أن من أهم عوامل رسوخ الإيمان في القلب، أن يحب الإنسان للآخرين حصول الخير الذي يحبه لنفسه، من حلول النعم وزوال النقم، وبذلك يكمل الإيمان في القلب.

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، وهذا يقتضي العطف والحنان، ونفي الإيمان هنا نفيٌ لكماله الواجب، لا نفي لأصله.

إن من أعظم مقاصد الشريعة، ومن أَجَلِّ أهداف الإسلام، أن يؤلِّف بين القلوب، وأن يجمع بين الصفوف، وأن يوحِّد الكلمة، وأن يرأب الصدع، وأن يزيل أسباب الخلاف والتدابر والتقاطع، وإذا لم يتم ذلك في واقع المسلمين، وفي حياة الأمة؛ فيجب أن نعلم جميعاً أننا ما التزمنا بالإسلام، وما اهتدينا بنور القرآن، وما تشرفنا بالسير على هدي سيد الأنام صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ممتنّاً على هذه الأمة: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63] فسبحان من ألَّف بين هذه القلوب، وسبحان من وحد بين هذه الأجناس، وسبحان من جمَّع بين هذه الألوان واللغات والعادات. جمع الله بين بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعليٍّ القرشيّ، في وحدة وألفة وترابط أخوي، لم يعرف التاريخ له مثيلاً.

فلماذا يبغض بعضنا بعضاً، ولماذا يحسد بعضنا بعضاً، ولماذا يغتب بعضنا بعضاً، ولماذا هَتْكُ الأعراض، والتقاطع والتدابر والتباغض، قال-ﷺ-:"لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا". صحيح مسلم

بيَّن النبي-ﷺ- لهمُ المنزلةَ الَّتِي يَنبغي أنْ يَكونوا عليها، وهي الأُخُوَّةُ، كَأُخُوَّةِ النَّسَبِ في الشَّفَقةِ والرَّحمةِ، والمحبَّةِ والمُواساةِ، والمعاوَنةِ والنَّصيحةِ، فأمرهم أن يَأخُذوا بِأسْبابِ كلِّ ما يُوصِلُهم لِمثْلِ الأُخُوَّةِ الحقيقيَّةِ مع صَفاءِ القلْبِ، والنَّصيحةِ بِكلِّ حالٍ. الدرر السنية

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران: 103].

قال-ﷺ-: "واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ. قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ" صحيح البخاري.

والبوائقُ: جمعُ بائقةٍ، وهي الدَّاهيةُ والبَلِيَّةُ، والفَتْكُ والشُّرور، والظُّلمُ والجَورُ والتَّعدِّي. الدرر السنية

" قال رجلٌ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرةِ صَلاتِها وصَدقَتِها وصيامِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بِلِسانِها؟ قال: هيَ في النَّارِ، قال: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها وصَدقَتِها وصَلاتِها، وإنَّها تَتَصدَّقُ بالأَثوارِ مِن الأَقِطِ، وَلا تُؤذي جيرانَها بِلسانِها؟ قال: هيَ في الجنَّةِ". صحيح الترغيب

لن ننال رضوان الله عزَّ وجلَّ ولا رحمة الله تبارك وتعالى وعفوه ومغفرته، إلا بمحبتنا لإخواننا المسلمين، وكف الأذى عنهم، وبرهم ومساعدتهم؛ فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وإن رحمة الله عزَّ وجلَّ تتنزَّل بمساعدة الإخوان، وتقديم العون لهم، ومحاولة التيسير على المعسرين وأهل الحاجة؛ قال النبي -ﷺ-: "الْمُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ"[صحيح مسلم].

المقصودُ أنَّ مِن جملة خِصال الإيمانِ الواجبةِ، أنْ يُحِبَّ المرءُ لأخيه المؤمن ما يحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه، فإذا زالَ ذلك عنه، فقد نَقَصَ إيمانُهُ بذلك، وإذا كان النقص من كماله الواجب فدل على أنه يأثم بذلك!!

قال د. خالد السبت قد يقول بعضهم: هذه قضية في القلب، وأنا لا أملك ذلك، والله يقول: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)[البقرة:286]، نقول لهم: هنا يتوجه الخطاب إلى الأسباب التي توجِد مثل هذا، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه فلا يكون الإنسان أنانياً، همه مصلحته، وأن يعيش برغد، ولا يهتم بإخوانه ولا يريد لهم الخير.

المؤمن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه؛ كما قال-ﷺ-: "مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى"(رواه مسلم)، وهذا يدلُّ على أنَّ المؤمن يَسُرُّهُ ما يَسرُّ أخاه المؤمن، ويُريد لأخيه المؤمن ما يُريده لنفسه من الخير، يسوؤه ما يسوء أخاه، ويحزنه ما يحزنه.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:"وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ يَسُرُّهُ مَا يَسُرُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسُوءُهُ مَا يَسُوءُهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ".

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10].

حِينَ هَاجَرَ النَّبِيُّ-ﷺ-عَلِمَ قَدْرَ الْأُخُوَّةِ، وَأَثَرَهَا فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَعَلَى وَحْدَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَمَاسُكِهِمْ؛ فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَضَرَبُوا بِذَلِكَ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ؛ إِذْ لَمْ تَجْمَعْهُمُ الْأَعْرَاقُ وَلَا الْقَوْمِيَّاتُ، إِنَّمَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ، بِسَمَاحَتِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ -ﷺ- بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ) [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]. فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ أُخُوَّةٍ، جَعَلَتِ الْأَخَ لَا يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ ضِيَافَةِ أَخِيهِ وَإِكْرَامِهِ، بَلْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْمُنَاصَفَةَ فِي مَالِهِ وَأَهْلِهِ!!.

بِالْأُخُوَّةِ تُذَاقُ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ؛ كَمَا جَاءَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَبِالْأُخُوَّةِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ: كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي" [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ... – وَذَكَرَ مِنْهُمْ-: "وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ... الْحَدِيثُ" [مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ].

قال -ﷺ-: قال اللهُ تعالى: "وجبتْ محبتي لِلْمُتَحابينَ فِيَّ، والمتجالسينَ فِيَّ، والمتباذلينَ فِيَّ، والمتزاورينَ فِيَّ". صحيح الجامع

إِنَّ حُقُوقَ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَثِيرَةٌ: فَالدُّعَاءُ لَهُ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ، وَرَدُّ سَلَامِهِ، وَعِيَادَتُهُ، وَاتِّبَاعُ جَنَازَتِهِ، وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ، وَتَشْمِيتُهُ- تُعَدُّ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ؛ بَلْ هِيَ مِنْ مُوجَبَاتِ الْأُخُوَّةِ الْحَقَّةِ الْمُوجِبَةِ لِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: "حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ] ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «من عادَ مريضا خاضَ الرحمةَ فإذا جلسَ عندهُ استَقْنَع فيها ، فإذا خرج من عندهِ خاضَ الرحمةَ حتى يرْجِعَ بيته"[رواه أحمد]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ - أَيْ: تَقُومُ بِهَا- قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ" [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

فَالْمُؤْمِنُونَ بِمُقْتَضَى عَقْدِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ يَنْتَفِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَدْعُو بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذَا الدُّعَاءِ نَفْيَ الْغِلِّ فِي الْقَلْبِ الشَّامِلِ لِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، الَّذِي إِذَا انْتَفَى ثَبَتَ ضِدُّهُ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر:10].

إِنَّ الإِسْلامَ يُرِيدُ لِلْعَلاقَاتِ الأَخَوِيَّةِ، أَنْ تَبقَى رَاسِخَةً قَوِيَّةً، لأَنَّ تَعمِيقَ مِثْلِ هَذِهِ العَلاقَاتِ بَيْنَ النَّاسِ يَجْعَلُ المُجتَمَعَ قَوِيًّا مُتَمَاسِكًا، وَمَتَى مَا كَانَ كَذَلِكَ حَقَّقَتِ البَشَرِيَّةُ السَّعَادَةَ المَرجُوَّةَ، وَنَعِمَ كُلُّ فَرْدٍ بِالأَمَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، أَمَّا إِذَا غَلَبَ عَلَى المُجتَمَعِ جَانِبُ الخُصُومَةِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّزَاعِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُتَدَاعِيًا ضَعِيفًا، فَلاَ تَكَادُ تُحَلُّ قَضِيَّةٌ حَتَّى تَأْتِيَ أُخْرَى، فَيُصْبِحَ كُلُّ وَاحِدٍ يَطْلُبُ مَصْلَحَتَهُ وَيُغَلِّبُ رَغْبَتَهُ، فَيُخْفِقَ المُجتَمَعُ إِخْفَاقًا ذَرِيعًا، وَقَوْلُ اللهِ فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ خَيْرُ بُرْهَانٍ: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[الأنفال:46] إِنَّ ضَعْفَ الرَّوَابِطِ الأَخَوِيَّةِ سَبَبٌ وَاضِحٌ لإِخْفَاقِ النَّاسِ في حَيَاتِهِمْ، فَتَرَى ضِيقَ الصُّدُورِ وَكَثْرَةَ اختِلاقِ القَضَايَا، وَتَرَى الأَوَّلَ يَكِيدُ لِلآخَرِ، فَلا مُعَامَلَةَ بِالمَعْرُوفِ ولا تَحَمُّلَ لِلأَذَى، وَلا صَبْرَ عَلَى الجَفَا، بَلْ طَلَبٌ للعَثْرَةِ وَتَتَبُّعٌ لِلزَّلَّةِ، وَنَسِيَ أُولَئِكَ أَنَّ هُنَاكَ مَبَادِئَ لاَ يَصِحُّ أَنْ تَغِيبَ عَنْهُمْ، وَأَنَّ المُسْلِمَ أَخُو المُسْلِمِ وَأَنَّ الإِسْلاَمَ يَحُثُّ على الإِصْلاَحِ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ القُرُبَاتِ وَالصَّدَقَاتِ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِتَنَزُّلِ الرَّحَمَاتِ.

إِنَّ مِنْ مُسْتَلْزَمَاتِ الإِيمَانِ وَمَظَاهِرِ الأُخُوَّةِ أَنْ لا يَعِيشَ المُسْلِمُ مُنْعَزِلاً عَنِ النَّاسِ، بَلْ يَمُدُّ يَدَهُ بِالخَيْرِ وَالعَوْنِ، يُسَاعِدُ كُلُّ أَخٍ أَخَاهُ، يَقُولُ الرَّسُولُ -ﷺ-:"المُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلا خَيْرَ فِي مَنْ

لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ" المعجم الأوسط، قال-ﷺ-: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، و أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً ، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا ، و لأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا..." السلسلة الصحيحة

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، إذا تأملنا الحديث، لوجدنا أن تحقيق هذا الكمال الإيماني في النفس، يتطلب منها سموا في التعامل، ورفعة في الأخلاق مع الغير، انطلاقا من رغبتها في أن تُعامل بالمثل، وهذا يحتّم على صاحبها أن يصبر على أذى الناس، ويتغاضى عن هفواتهم، ويعفو عمن أساء إليه، وليس ذلك فحسب، بل إنه يشارك إخوانه في أفراحهم وأتراحهم ، ويعود المريض منهم، ويواسي المحتاج، ويكفل اليتيم، ويعيل الأرملة، ولا يألو جهدا في تقديم صنائع المعروف للآخرين ، ببشاشةِ وجه، وسعة قلب، وسلامة صدر .

وكما يحب للناس السعادة في دنياهم، فإنه يحب لهم أن يكونوا من السعداء يوم القيامة، لهذا فهو يسعى دائما إلى هداية البشرية، وإرشادهم إلى طريق الهدى، واضعا نصب عينيه قول الله تعالى:(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[فصلت: 33]

قال -ﷺ-"يا أبا هريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ تَكُن من أَغْنَى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا..." صحيح الجامع

أي: تَمَنَّ لهم حُصولَ الخَيْرِ، واجْتِنابَ الشَّرِّ، كما تَتَمنَّاهُ لنَفْسِكَ وأهْلِكَ، فهذا عَلامَةٌ على رُقيِّ الإيمانِ في قَلْبِكَ، وكذَلِك فيما تَكْرَهُ، "وجاوِرْ مَنْ جاوَرْتَ بإحْسانٍ تَكُنْ مُسلِمًا" والإحْسانُ بَذْلُ المَعْروفِ من قَوْلٍ أو فِعْلٍ أو مالٍ أو جاهٍ، والمَعْنى: افْعَلْ ما تَسْتطيعُ من الخَيْرِ لكُلِّ مَنْ جاوَرَكَ، سواءٌ في المَنْزِلِ أو العَمَلِ، أو في السَّفَرِ، أو غير ذلك، فهذه من عَلاماتِ الإسْلامِ. الدرر السنية

وهذا من خصال الإيمان العظيمة، ولذلك رتَّب النبيُّ -ﷺ- دخولَ الجَنَّة على العمل بها، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث يزيد بن أسد القسري رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: ((أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟)) قلتُ: نعم، قال: ((فَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ)).

ومن الواجب أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعامله به؛ ففي الحديث: "فمَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ"(رواه مسلم)؛ وقَرْنه في الحديث بين الإيمان بالله واليوم الآخر، والنجاة من النار ودخول الجنة؛ يفيد وجوب معاملة الآخرين بمثل ما تحب أن يعاملوك به.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: "إنَّ فَتًى شابًّا أتى النَّبيَّ -ﷺ-، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، ائذَنْ لي بالزِّنا، فأَقْبلَ القومُ عليه فزَجروهُ، وقالوا: مَهْ! مَهْ! فقالَ:

ادنُهْ، فدَنا منهُ قريبًا. قالَ: فجَلسَ، قالَ: أتُحبُّهُ لأُمِّكَ؟ قالَ: لا واللَّهِ، جعَلَني اللَّهُ فِداءَكَ، قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لأُمَّهاتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لابنتِكَ؟ قال: لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، جعَلَني اللَّهُ فِداءَكَ، قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَه لبَناتِهِم. قالَ: أفتُحبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قال: لا واللَّهِ، جعَلَني اللَّهُ فِداءَكَ، قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لأخواتِهِم. قال: أفتُحبُّهُ لعمَّتِكَ؟ قال: لا واللَّهِ، جعَلَني اللَّهُ فِداءَكَ، قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهِم. قال: أفتُحبُّه لخالتِكَ؟ قال: لا واللَّهِ، جعَلَني اللَّهُ فِداءَكَ، قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لخَالاتِهِم. قال: فوَضعَ يدَهُ عليه، وقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ ذَنبَه، وطَهِّرْ قلْبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه، فلم يَكُن بَعدُ ذلِك الفَتَى يَلتَفِتُ إلى شيءٍ" الصحيح المسند.

وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أمثلة لحب الخير الآخرين سواء في الدنيا أو الدين وإليكم هذه النماذج المشرقة:

وكان محمد بن واسع يبيع حمارًا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لم أبعْه، وهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله مِن جملة النصيحة لعامَّة المسلمين، التي هي مِن جملة الدِّين.

وقد قال محمد بن واسع لابنه: أَمَّا أبوك فلا كثَّر الله في المسلمين مثله، فمَن كان لا يرضى عن نفسه، فكيف يحبُّ للمسلمين أن يكونوا مثله مع نصحه لهم؟! بل هو يحبُّ للمسلمين أن يكونوا خيرًا منه، ويحبُّ لنفسه أن يكون خيرًا مما هو عليه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إني لأَمُرُّ على الآية مِن كتاب الله، فأَوَدُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم).

وقال الشافعي رحمه الله: (وددتُ أن الناس تعلَّموا هذا العِلم، ولم يُنَسب إليَّ منه شيء).

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلَّمتَ الحلم؟ قال: "مِن نفسي؛ كنتُ إذا كرهتُ شيئًا من غيري لا أفعل مثلَه بأحد".

فقد كان أحد الصالحين في دكانه إذا باع أول النهار وجاء أحد يشتري منه قال: "اذهب لجاري فإنه لم يبع منذ الصباح"! سبحان الله! علم أن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى وارتقى بنفسه عن حب الدنيا والمال وآثر أخاه على نفسه.. فيا ليتنا نقتدي.

كانَ إبراهيمُ النخعيُّ رحمهُ اللهُ تعالى أعورَ العينِ، وكانَ تلميذهُ سليمانُ بنُ مهرانٍ أعمشَ العينِ (يعني: ضعيفَ البصرِ) وقد روى عنهما ابنُ الجوزيّ في كتابهِ (المنتظم) أنهما سارا في أحدِ طرقاتِ الكوفةِ يريدانِ الجامعَ، وبينما هما يسيرانِ في الطريقِ قالَ الإمامُ النخعيُّ: يا سليمان! هل لكَ أن تأخذَ طريقًا وآخذَ آخرَ؟ فإني أخشى إن مررنا سويًا بسفهائها، لَيقولونَ أعورٌ ويقودُ أعمشَ! فيغتابوننا فيأثمونَ، فقالَ الأعمشُ: يا أبا عمران! وما عليك في أن نؤجرَ ويأثمونَ؟! فقال إبراهيم النخعي: يا سبحانَ اللهِ! بل نَسْلَمُ ويَسْلَمونُ خيرٌ من أن نؤجرَ ويأثمونَ (المنتظم في التاريخ: [15/7]).

⇦إنها قلوب تزينت بالإيمان حتى حلقت في السماء لتصل بأصحابها إلى أعالي الجنان، إنها قلوب تشربت ووعت حديث رسول الله-ﷺ-: «حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا أتَى النَّبيَّ -ﷺ-، فَبَعَثَ إلى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: ما معنَا إلَّا المَاءُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَن يَضُمُّ -أوْ يُضِيفُ- هذا؟ فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا، فَانْطَلَقَ به إلى امْرَأَتِهِ، فَقالَ: أكْرِمِي ضَيْفَ رَسولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقالَتْ: ما عِنْدَنَا إلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، ونَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذَا أرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، ونَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فأطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أنَّهُما يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا إلى رَسولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أوْ عَجِبَ- مِن فَعَالِكُما، فأنْزَلَ اللَّهُ:(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: 9] (أخرجه مسلم، والبخاري واللفظ له).

وإننا في يومنا هذا قلما نجد من يحب الخير لإخوانه حتى في أبسط الأمور... بل تجد المرء يضلل إخوانه حتى لا يصلوا إلى الخير الذي يريده ويصل هو قبلهم أو دونهم... وتجد من يبخل على إخوانه حتى بالنصيحة... وتجد من يحقد على أخيه بسبب وصوله لمكانة رفيعة، حتى وإن كان هو أعلى منه مكانة... كل هذا بسبب بعد هذه القلوب عن الهدي النبوي وإيثارها الدنيا على الآخرة.

فهلا ارتقينا بأنفسنا قليلا عن حب الدنيا وشهواتها، وأصلحنا قلوبنا وأزلنا عنها صدأ الأنانية لتسمو بعد ذلك في جنات النعيم.

فتعالوا إلى صور من واقع حياتنا؛ عسى أن تفتح لنا من الخير أبوابا:

عندما تقود مركبتك في مكان وتريد سلوك الطريق المزدحم، ألست تفرح بمن يقف؛ ليفسح لك المجال بالعبور؟! بالتأكيد ستقول: "نعم"، افعل هذا مع الآخرين.

إذا أردت شراء سيارة أو منزلا أو جهازا، ألست تحب أن يخبرك بما فيه من مزايا وعيوب؟! افعل هذا مع الآخرين.

إذا أردت بيع سلعة، فخذ ربحا معقولا ترضاه لو كنت أنت المشتري.

إذا كنتَ في مجلس مكتظ فابدأ بالتفسح إذا استطعت.

في بعض دورات المياه عبارة: "اترك المكان؛ كما تحب أن تراه".

إذا سُئِلت عن خاطب لزوجة، فأخبر بعدلٍ وصدقٍ؛ كما تحب أن تُخبر لو خُطِب منك.

عند بنائك لا تقصر من الارتداد المسموح عند البلدية؛ لئلا تكشف حوش جارك وتزاحم خصوصيته.

ولا شك أنك تحب أن يدعو لك الناس بظهر الغيب، أنت ادع لهم بظهر الغيب.

استر من زلّ؛ كما تُحب أن تُستر لو زللت.

بالتأكيد أنك لا تحب أن تُغتاب، فلا تغتب أخاك، ولو علمت عن شخص ذب عن عرضك لأحببته، فذبّ أنت عن عرضك أخيك.

وبالتأكيد أنك تحب صاحب الكلام الطيب والتعليق اللطيف، والمبتسم البشوش، والمسلّم بحفاوة، فجعلها مما تعامل به الآخرين.

لا شك أنك تسعد برؤية الأماكن البرية نظيفة، وكذلك الحدائق والأماكن والعامة، اجعل ذلك من عادتك وعوّد عليها أهلك وجلسائك.

وبعد: فهذه أمثلة وغيرها كثير، فاجعل منها طريقا لتحقيق كمال الإيمان، والتقرب للرحمن.

إن حب الخير للآخرين له ثمرات جلية جليلة، ومنها:

- أنه يرتقي بصاحبه في مراتب الإيمان.
- أنه يجعل صاحبه من المفلحين؛ قال تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر:9].
- أن يسلم قلب صاحبه من الحقد ويطهره من الأثرة.
- أن يحبه الخلق ويقدروا له صنيعه، فيحصل بذلك الألفة والمحبة بين الناس.
- وهو دليل على علو الهمة والارتقاء بالنفس عن الدنايا.

لا يكون المؤمنُ مؤمناً حقاً حتى يرضى للناسِ ما يرضاه لنفسه، وإنْ رأى في غيره فضيلةً فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها؛ فإنْ كانت تلك الفضيلةُ دينية كان حسناً، وقد تمنى النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم– لنفسه منْزلةَ الشَّهادة.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما قوله –ﷺ–: "لا حسدَ إلاَّ في اثنتين: رجل آتاهُ الله مالاً، فهو يُنفقهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهارِ، ورجُلٌ آتاهُ الله القرآن، فهو يقرؤهُ آناءَ الليل وآناءَ النهار".

ومع هذا كُلِّه، فينبغي للمؤمن أنْ يحزنَ لفواتِ الفضائل الدينية، ولهذا أُمِرَ أنْ ينظر في الدنيا إلى مَنْ هو دونه، وفي الدين لمن هم فوقه وأنْ يُنافِسَ في طلب ذلك جهده وطاقته؛ كما قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمتَنَافِسُونَ) [المطففين:26] ولا يكره أنَّ أحداً يُشارِكُه في ذلك، بل يُحِبُّ للناس كُلِّهم المنافسةَ فيه، ويحثُّهم على ذلك، وهو من تمام أداءِ النَّصيحة للإخوان.

وينبغي للمؤمن أنْ لا يزال يرى نفسَه مقصِّراً عن الدَّرجات العالية، فيستفيد بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل، والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعينِ النَّقص، وينشأ مِنْ هذا أنْ يُحِبَّ للمؤمنين أنْ يكونوا خيراً منه؛ لأنَّه لا يرضى لَهم أنْ يكونوا على مثلِ حاله، كما أنَّه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل يجتهد في إصلاحها.

وختاما: فإن من ثمرات العمل بهذا الحديث العظيم أن ينشأ في الأمة مجتمع فاضل، ينعم أفراده فيه بأواصر المحبة، وترتبط لبناته حتى تغدو قوية متماسكة، كالجسد الواحد القوي، الذي

لا تقهره الحوادث، ولا تغلبه النوائب، فتتحقق للأمة سعادتها، وهذا هو غاية ما نتمنى أن نراه على أرض الواقع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ليكن كل واحد منّا حكَم على نفسه أمام هذه الجملة: "وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إلَيْهِ"، وليضع نفسَه دومًا في مكان الطرَف الآخر.

المراجع:

❶يحب لأخيه ما يحب لنفسه: حسام بن عبد العزيز الجبرين.

❷شرح حديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)): د.أمين بن عبدالله الشقاوي

❸حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه: طريق الإسلام.

❹ما يطلبه الخطباء لخطبة الجمعة: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)